الفصل الحادى والعشرون

الصحافة فى روسيا

لم تعرف روسيا منذ عرفت الصحافة وأصدرت الصحف ، حرية الصحافة ، وسائر الحريات من حرية الخطابة وحرية الاجتماع . فقد كانت الصحافة فى عهد القياصرة تحت الرقابة الشديدة أو مقيدة مكبلة بالقيود والأغلال ، وكان الكتاب الأحرار أو أشباه الأحرار هدفا للمصادرة والمحاكمة والإبعاد والتعذيب .

على أنه مهما يكن من أمر هذه الرقابة يومئذ ، فان حالة الصحف فى عهد السوفييت أسوأ جدا من حالتها قبله . كان هناك صحف تنقد وكتاب ينقدون ويعارضون فى صورة خفية ، وكانوا حقا معرضين للمؤاخذة ، غير أن الرأى العام أو قل الجمهور كان يطلع على بعض ما يريد وعلى أبواب من النقد الجرىء كما يقرأ الصحف الخارجية الحرة

أما فى العهد الحاضر ، عهد الشيوعية ، فالصحف بوق للحكم الراهن وأداة لترويج المبادىء الشيوعية ، وهى صحف حكومية ، كتابها موظفون ، وليست هناك أية صورة من صور الانتقاد أو المعارضة أو الحرية .

صحيح أن عدد الصحف قد زاد كما يقول مارك نورث فى مجلة برسيويش الى عشرة أضعاف عددها فى العهد القيصرى ، غير أن هذه الزيادة أريد منها الدعاية للنظام الجديد لا لخدمة الصحافة والرأى الحر النزيه ، كذلك زاد انتشارها إلى أربعة عشر ضعفا فأصبحت هناك نسخة لكل خمسة أشخاص وذلك فى عام ١٩٣٩ . أما بعد الحرب وأثناءها فقد قلت الجرائد وعدد صفحاتها وأصبحت تصدر فى أربع صفحات زيدت فى ١٩٤٧ إلى ثمان مع الطبع بالألوان

ومن أشهر الصحف الروسية الحاضرة : موسكو وهى مسائية ويرافدا « النجم الأحمر » ، اوجونيوك « رجل الجيش الأحمر » .

هذا ويرأس ج . ف . الكسندروف لجنة الدعاية فى الحزب الشيوعى ، وهى تتولى توجيه التحرير والمحررين . ومن أغراض الصحف هناك : التعليم ، والتنظيم ، وبث الحماسة ، ومدح الحكومة وذم خصوم النظام السوفيتى داخلا وخارجا ، والترفيه ، والجرائم ، متى أريد من نشرها الدعاية لفكرة معينة ، والقصص الصغيرة

والمقالات الاقتصادية ، والدولية ، والثقافية ، والأدبية . ومن محريها ايرنبورغ وسيمونوف .

وثمة وكالة « تاس » لنقل الأخبار الخارجية .

ويذيع الراديو المقالات الافتتاحية الصحفية ، لأنها معدة رسمياً للدعاية وتعلن الصحف عن المراقص ومباريات الشطرنج والملاهى والبضائع والاعلانات الرسمية عن قضايا الطلاق . أما الاعلانات فيخصص لها ذيل فى الصفحة الأخيرة . كذلك تنشر الصحف أنباء المؤتمرات الدولية والمفاوضات والزيارات الرسمية والمعاهدات وخطب ستالين وأقطاب روسيا فى الميزانية والمشروعات الاقتصادية وتفصيلات محاكمات مجرمى الحرب

وتعطل الصحف كلها فى يوم الأحد .

وثمة نوع من الانتقاد فى الصحف ، وهو انتقاد حالة المتأخرين فى الشعب ، وقلة الانتاج وضعف المزارع والمصانع ، حثاً لهم على المزيد ، أما انتقاد نظام الحكم وأقطابه ولو من طرف خفى ، فمحرم ويعاقب عليه بعقوبات صارمة تصل إلى الموت .

وقد بلغ ما كان يوزع من « برافدا » و « اسفتسيا » قبل الحرب العالمية الأخيرة مليونى نسخة وتنقل النسخ بالجو من موسكو . وتصدر فى المدن الأخرى صحف مثل لينجراد برفدا وستالينجراد

برافدا ، وعامل باكو ، وعامل الأورال . وفى سنة ١٩٣٩ ، بلغ عدد الصحف ٨٧٦٩ ثلاثة أرباعها بالروسية . والبـاقيـة بـ٦٩ لغة أخرى وبين الصحف ٤٣ عامة والباقية محلية . وثمة صحف تجارية ومهنية . ومعنى برفدا : « الصدق » واسفستيا : « الأخبار » ، وترود : « العمل » ثم ايفننج موسكو .

ثم إن هناك صحف الشباب ، ومؤتمرات صحفية ، ومحاضرات صحفية ، وكان فى روسيا منذ سنة ١٩٤٢ صحيفة تصدرها الحكومة البريطانية أسمها « الحليفة البريطانية » صدرت بموافقة الحكومة الروسية على أن لايزيد عدد نسخها على خمسين ألفا وكانت تنشر الأخبار البريطانية مثل خطب رئيس الوزارة البريطانية ووزراء خارجيتها ، والشخصيات البارزة والصور والقصص وأنبـاء عن العلوم والصناعات والمؤسسات البريطانية .